Dr-Abd Al-lateef's Methodolgy for Monitoring the Famine of the Ayyubid just Sultan in the Late Sixth Century

Sanad Abdulfattah

Abstract

Islamic State systems were got a considerable part in the writing of historians of Islamic Civilization, Historical Thought was acquired a part in their studies as a general subject, but it wasn't progressed to specialized study which cover a certain period.

Therefore, this research paper deals with the methodology of the historian physician Abd al-Latif al-Baghdadi in talking about the Al-Adel Ayyubid Sultan's famine, which occurred at the end of the sixth AH / sixteenth century AD.

منهجية الطبيب عبد اللطيف البغدادي في رصد مجاعة السلطان العادل الأيوبي أواخر القرن السادس الهجري

سند أحمد عبد الفتاح

أستاذ، قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب، جامعة الكويت

الملخص

حظيت نظم الدولة الإسلامية بقسط لا بأس به من اهتمام مؤرخي الحضارة الإسلامية، ونال الفكر التاريخي قدراً من دراساتهم التي تناولته في موضوعات عامة ذات خطوط عريضة لكنها لم تصل به إلى الدراسات المتخصصة التي تتناول عصراً بعينه، أو منهجية أحد المؤرخين في موضوع من الموضوعات.

لذا تتناول هذه الورقة البحثية منهجية المؤرخ الطبيب عبد اللطيف البغدادي في الحديث عن مجاعة السلطان الأيوبي العادل، التي حدثت في نهاية القرن السادس الهجري/ السادس عشر الميلادي .

تحظى الدراسات الحضارية بقسط كبير من اهتمامات الباحثين المحدثين وأطروحاتهم بعيداً عن الدراسات السياسية التي غُصت بها مؤلفات المؤرخين؛ وحسبنا فى ذلك الدراسات التي تتناول تاريخ الأوبئة والمجاعات عبر العصور بصفة عامة، والأوبئة والمجاعات في عصر الدولة الأيوبية بصفة خاصة، وتحديداً المجاعة التي ضربت مصر في عهد السلطان العادل الأيوبي في مطلع حكمه؛ بحيث شكلت تهديداً جذرياً لدولته على الأصعدة كافة؛ لما أحدثته من نتائج وخيمة.

بادئ ذي بدء، فقد ضربت المجاعات مصر عبر العصور الإسلامية المختلفة، ولعل أشدها السنوات السبع العجاف التي ضربت مصر إبان حكم الخليفة المستنصر بالله الفاطمي أو ما عرف "بالشدة المستنصرية"؟ إذ دخلت بعدها الدولة الفاطمية طور الضعف والشيخوخة والسقوط فيماعرف "بعصر الوزراء العظام"، الذي انتهى بسقوط هذه الدولة على يد صلاح الدين الأيوبي عام567هـ/ 1171م.

ويُعد السبب الرئيسي لهذه المجاعات نقص مياه نهر النيل وانخفاض منسوبه بدرجة حادة بحيث ينجم عنه " الغلاء ثم انتشار الوباء"، وخلال العصر الفاطمي حاول الخليفة الحاكم بأمر الله أن يجد حلاً لمشكلة نهر النيل عن طريق الاستعانة بعالم الهندسة والبصريات الحسن بن الهيثم الذي أُثر عنه قوله: "**لو أنني بنيل مصر لفعلت به كذا وكذا**"، ويقصد بمقولته تنظيم مياه فيضان النيل. وبعد وسائل الترغيب من قبل الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله لهذا العالم بغية استقدامه من البصرة إلى القاهرة استجاب الحسن بن الهيثم وقدم إلى مصر كي ينتشلها من مشكلة نهر النيل الأزلية التي كانت سبباً في حدوث الكثير من المجاعات وانتشار الأوبئة عبر عصورها المختلفة، وبالفعل تم تجهيز الحسن بن الهيثم من قبل الحاكم بأمر الله ببعثة هندسية شقت طريقها إلى منطقة الشلالات في جنوب مصر إلا أن الحسابات الهندسية اختلطت عليه هناك، فعاد بالبعثة إلى القاهرة واعتذر للحاكم[1]، وظلت مصر تحت وطأة تهديد الجوع والوباء الناجم عن نقصان وانخفاض منسوب نهر النيل، بل إن هذا النقص كان سبباً- كما ذكرنا- في دخول الدولة الفاطمية نفقاً مظلماً بدأ بالاستعانة بوزراء الشام، وعلى رأسهم بدر الدين الجمالي والي عكا، الذي بقدومه بدأ عصر سيطرة الوزراء العظام ثم انتهى هذا العصر بسقوطها عام 567هـ/ 1171م.

وحين نأتي إلى ورقتنا البحثية فسوف نجد أن الدولة الأيوبية -وريثة الفاطميين- لم تسلم هي الأخرى من المجاعات والأوبئة، وكأن الحتمية الجغرافية أقرت بأنه إذا لم يوجد حل لمشكلة نقص مياه نهر النيل فسوف تظل مصر تحت تهديد الجوع وانتشار الوباء تبعاً لذلك، وعليه ظل التهديد قائماً منذ نشأة الدولة إلى وقت اعتلاء السلطان العادل الأيوبي سدة الحكم مستغلاً الصراعات التي نشبت بين أبناء صلاح الدين الأيوبي، إلا أن جلوس العادل على عرش مصر لم يكن بشير خير في البداية؛ إذ سرعان ما حدث الانخفاض الحاد في منسوب نهر النيل وهو ما نجم عنه حدوث المجاعة وانتشار الوباء الذي ذكّرنا بالشدة المستنصرية أيام حكم المستنصر بالله الفاطمي، وكان لتلك المجاعة نتائج وخيمة على دولة العادل في الصُّعد كافة.

ومن حسن الحظ أن يكون لدينا أحد شهود العيان الذين عاينوا هذه المجاعة وهو العالم الطبيب الموسوعي عبد اللطيف البغدادي الذي رصد في كتابه " الإفادة والاعتبار " . أسباب تلك المجاعة ومظاهرها ونتائجها على دولة العادل الأيوبي، ولولا شهادة العيان لهذا المؤرخ الطبيب لظننا أن ما يكتبه هو ضرب من الخيال أو المبالغة بطبيعة الحال؛ نظراً لبشاعة العبارات والألفاظ التي استخدمها في وصف مظاهر هذا الوباء، وتأتي قوة عبارات عبد اللطيف البغدادي من كونه طبيباً اعتاد التعامل مع رؤية الجثث وتشريحها، فكانت عباراته في حكم المألوف بالنسبة له، وفي حكم التهويل بالنسبة لنا كقراء، وبالنظر إلى وصف هذه المجاعة من قبل المؤرخين سنجد الاختلاف في العبارات والألفاظ التي غلفها شيء من التهوين والاعتيادية.

والثابت أن هناك العديد من الدراسات التي تناولت المؤرخ الطبيب عبد اللطيف البغدادي بالنقد والتفصيل من قبيل: كتاب عباس العزاوي، التعريف بالمغول في عهد المغول والتركمان(941-601هـ / 1534-1204م)، ورسالة هدى ياسين يوسف، عبداللطيف البغدادي: دراسة في نصوصه التاريخية (629-557هـ/ 1231-1161م) في جامعة الموصل، ورسالة الباحثة وسن إبراهيم حسين، عبد اللطيف البغدادي: دراسة تاريخية، رسالة ماجستير بجامعة بغداد، وجميعها تناولت هذا العالم في دراسة ميكروسكوبية.

أما في هذه الورقة البحثية فسنركز بالدرجة الأولى على منهجية البغدادي في حديثه عن تلك المجاعة في كتابه " الإفادة والاعتبار " وتحديداً الصفحات التي تناول من خلالها هذه المجاعة من حيث الأسباب والمظاهر والنتائج ومرجعيته في استقاء مادته العلمية التي تقارب العشرين صفحة؛ أي أنه ستقتصر هذه الورقة –بصورة أوضح– على منهجية هذا المؤرخ الطبيب في العشرين صفحة فقط دون بقية الكتاب والذي تناول فيه ظواهر أخرى خارج نطاق هذه الدراسة .

ومؤرخنا الطبيب هو عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي بن أبي سعد الملقب بالبغدادي، صُنف بأنه عالم وطبيب موسوعي ولد في بغداد عام 557هـ[2]، ويرى أحد المؤرخين أنه ولد في عام 555هـ[3]، غير أن التاريخ الأول هو الأقرب للصحة؛ لوروده في مصادر زمنية معاصره له من ناحية، ومن ناحية أخرى ما ورد في ترجمة ابن أبي أصيبعة على لسانه قائلاً : " **إني ولدت بدار جدي في درب الفالوذج في سنة سبع وخمسين وخمسمائة** "[4] .

تلقب البغدادي بالعديد من الألقاب التي أوردتها المصادر الإسلامية، منها – على سبيل المثال– : الموفق عبد اللطيف، موفق الدين، الموفق البغدادي، ولحقت به كنية " أبي اللباد " ، وهي الكنية التي أطلقت على العديد من أفراد أسرته مثل والده وأعمامه[5]وتوفي عام 629هـ ، وهو سليل بيت علم ورياسة، تلقى العلم في بواكير حياته على يد أبيه وعمه، ثم بدأ الارتحال في طلب العلم، فجاب العديد من الأقطار لينهل من شيوخه، فسافر إلى الموصل ثم القاهرة ثم القدس ثم دمشق ثم حلب ثم بلاد الروم ثم شبه الجزيرة العربية في أثناء أدائه فريضة الحج .

كانت لدى البغدادي ثقافة موسوعية؛ حيث نهل من علماء عصره في شتى العلوم والفنون فاطلع على مؤلفات الطبيب ابن سينا وجابر بن حيان وابن وحشية والكمال بن يونس وابن سناء الملك، واجتمع بنوابغ علماء عصره في علم الطب؛ مثل : موسى بن ميمون اليهودي، وياسين الكيميائي وأبي القاسم الشارعي .

صنف البغدادي العديد من المؤلفات، معظمها في علم الطب بفروعه المختلفة

بالإضافة إلى تصنيفه في علوم الحديث والنحو والبلاغة والرياضيات والنبات والحيوان والتاريخ، وجميع مؤلفاته تشي بثقافته الموسوعية التي جعلته أحد رواد عصره.

ما يعنينا هنا كتابه "الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر"، وبخاصة الجزء الأخير لهذا الكتاب الذي ختمه بالحديث عن المجاعة التي ضربت مصر، وكان شاهد عيان عليها.

العجيب أن ما قدمه البغدادي بصدد الحديث عن تلك المجاعة يدل على امتلاكه "منهجاً بحثياً علمياً سليماً" وكأننا أمام طالب ينجز أطروحة عن الوباء في عهد العادل الأيوبي في الوقت الحاضر؛ حيث جاء رصده للأحداث انسيابياً ومنسجماً.

أدرك البغدادي السبب الرئيسي لحدوث الوباء هو نهر النيل فأعطانا تمهيداً كمختص في علم الطب عن نهر النيل ونتائجه الوخيمة حينما يفقد منسوبه الطبيعي ويتغير لونه وتتغير رائحته، فيهلك بسببه الحرث والنسل[6].

لم يدخل البغدادي مباشرة في مظاهر المجاعة بل تحدث بالتدريج عنها من السيئ إلى الأسوأ عبر مراحل مختلفة؛ ففي المرحلة الأولي أكل الناس القطط والكلاب والجيف والميتة [7]؛ ثم تلاها في المرحلة الثانية التي كانت أكثر سوءاً من الأولى، وتتمثل في أكل الأطفال الصغار عن طريق ذبحهم وشيهم وأكلهم، حتى إذا ما ندر وجودهم راجت تجارة خطف الأطفال بغية أكلهم[8]، ورصد البغدادي نحو 12 طفلاً مشويين. والمثير للدهشة أن الملتهم لهؤلاء الأطفال غالباً ما كان الأب أو الأم، بل إن المرأة حينما كانت تُضبط وهي متلبسة بالتهام طفل كانت تُقر قائلة: " **إنما هو ولد ابنتي وليس بأجنبي مني ولأن آكله خير من أن يأكله غيري** "[9].

انتقل البغدادي إلى المرحلة الثالثة وفيها أكل الناس بعضهم بعضاً سواء من الرجال أو النساء، ورصد لنا البغدادي حيل الخاطفين من الرجال والنساء لجلب ضحاياهم تمهيداً لذبحهم وأكلهم، وكان التركيز دوماً على الرجل البدين والمرأة السمينة[10]، بل إن بعض الخاطفين كان يستبق قتل ضحاياه ليس بغرض أكلهم ولكن بتخزينهم وسط براميل من الماء والملح، وحينما كان يُقبض عليه ويُسأل عن السبب يجيب قائلاً: " **خفت إذا دام الجدب**

أن يهزل الناس "[11] **!!** والأمثلة كثيرة أوردها البغدادي في مصنفه بحيث تجعل القارئ يقشعر بدنه من هول ما يراه من خلال هذا الوصف الدقيق لهذا المؤرخ الطبيب.

ثم تأتي المرحلة الرابعة، وهي مرحلة اختطاف الأطباء وذبحهم، ورصد البغدادي أربع محاولات لخطف أطباء نجحت واحدة وفشلت المحاولات الثلاث الأخرى بعد أن لاذ الأطباء بالفرار عدواً نجاة بأنفسهم[12].

أورد لنا البغدادي بعضاً من سمات الشخصية المصرية إبان عصره وقت حدوث البلاء مما أصابته بالدهشة والعجب؛ فيذكر لنا أن الناس حينما بدأ بعضهم يأكل بعضاً تعجبوا من فظاعة هذه الأمور لنُدرتها " **ثم اشتد قربهم إليه واعتيادهم عليه بحيث اتخذوه معيشة ومطية ومدخراً وتفننوا فيه، فسقط حينئذ التعجب والاستبشاع** "[13]، لدرجة أنه رأى امرأة في السوق تأكل طفلاً مشوياً " **وأهل السوق ذاهلون عنها ومقبلون على شؤونهم وليس فيهم من يعجب لذلك أو ينكره، وما ذلك إلا لكثرة تكرره حتى صار في حكم المألوف الذي لا يستحق أن يتعجب منه** "[14]، كما حدثنا البغدادي أن أهل مصر طوال سنوات المجاعة " **ألفوا البلاء واستمروا عليه حتى عاد ذلك كأنه مزاج طبيعي** "[15].

ثم انتقل البغدادي من الحديث عن القاهرة إلى الحديث عن المجاعة في ربوع مصر من صعيدها إلى الوجه البحري، ثم تناول الحديث عن مظاهر المجاعة على الطريق المصري الشامي نظراً لهروب الكثير من أهل مصر صوب الشام غير أن الموت حصد أرواحهم في الطريق بلا رحمة. ثم بدأ في الحديث عن نتائج مجاعة العادل وكيفية استغلال التجار لهذا الظرف الاستثنائي في حصد الكثير من الأموال من جراء الغلاء الذي صاحب المجاعة، كما تحدث عن الخلل السكاني الذي نتج عن فناء الكثير من الناس لدرجة خلو قرى بأكملها من ساكنيها وغيرها من النتائج الكارثية على المجتمع المصري في دولة الملك العادل، التي ضمنها في أثناء حديثه عن هذه المجاعة[16].

وفي الإجمال لخص المؤرخ الطبيب البغدادي أسباب المجاعة ونتائجها بقوله عن سنة المجاعة: إنها افترست " **أسباب الحياة وقد يئس الناس من زيادة النيل وارتفعت الأسعار وأقحطت البلاد وأشعر أهلها البلاء وهرجوا من خوف الجوع وانضوى أهل**

السواد والريف إلى أمهات البلاد وانجلى كثير منهم إلى الشام والمغرب والحجاز واليمن، تفرقوا في البلاد أيادي سبأ، ومزقوا كل ممزق ودخل الى القاهرة ومصر منهم خلق عظيم، واشتد بهم الجوع ووقع فيهم الموت، وعند نزول الشمس الحمل وبيء الهواء ووقع المرض والموتان واشتد بالفقراء الجوع حتى أكلوا الميتات والجيف والكلاب والبعر والأرواث ثم تعدو ذلك ... " [17].

جاء وصف عبد اللطيف البغدادي لهذه الأحداث وصفاً مؤلماً لما حدث من هلع في نفوس المصريين، وهو ما دفعهم إلى هجر بيوتهم وأوطانهم والهجرة إلى الشام والمغرب والحجاز واليمن، كما أدى إلى أن يأكل الإنسان المحرمات كي يسدوا رمقاً من العيش[18].

منهجية البغدادي في حديثه عن مجاعة عهد السلطان العادل

قدم لنا عبد اللطيف البغدادي فكرة واضحة عن الأسلوب العلمي الذي اتبعه الأطباء العرب لإيجاد أدلة يفسرون بها ما يطلعون عليه في بطون الكتب، وهي طريقة تبين مدى استقلاليتهم في الرأي ووسائلهم العلمية الصحيحة وعدم خضوعهم إجمالاً لحجية من سبقهم من أطباء اليونان وغيره [19]؛ إذ يشار إلى أن الأطباء العرب إلى نهاية القرن الثاني عشر كانوا يتكلمون عن تشريح الهياكل العظيمة بناء على ما كتبه جالينوس[20]. إلا أنه لا ينكر جهود العديد من الأطباء العرب في انتباههم إلى أخطاء أسلافهم في ضوء خبراتهم الشخصية؛ فقد وجهوا نقدهم لجالينوس وقاموا بتصحيح لأقواله ولنظرياته، ومن أمثلة هؤلاء: ابن النفيس، والرازي، وابن زهر، والبغدادي[21].

على أية حال كتب عبد اللطيف البغدادي مادته العلمية عن المجاعة بحس المؤرخ المدرك لقيمة الحدث وجعل من المشاهدة والملاحظة وسيلة استدلالية في الحكم على صحة بعض الأخبار وقيمتها بحكم مشاهدته ومعايشته لها، بل استخدم المجاعة وسيلة مساعدة لإبراز موهبته كطبيب مختص في علم التشريح؛ فشرع في تصحيح المغالطات عند عظماء الأطباء القدامى –ومنهم جالينوس– مثل إثباته بما لا يقبل الشك أن الفك الأسفل يتكون من عظمة واحدة فقط، معبراً عن ذلك الاكتشاف المذهل بقوله[22]: " ومن عجيب ما شاهدناه أن جماعة ممن يتعاطون الطب وصلوا الى كتاب التشريح لجالينوس فكان يعسر

أفهامهم لقصور القول عن العيان ... فشاهدناه من شكل العظام ومفاصلها وكيفية اتصالها وتناسبها وأوضاعها ما أفادنا علما لا نستفيده من الكتب . . . " مُقراً بأن عظم الفك هو "**عظم واحد وليس فيه مفصل ولا درز أصلاً واعتبرناه ما شاء الله في المرات في أشخاص كثيرة تزيد على ألفي جمجمة بأصناف من الاعتبارات فلم نجده إلا عظماً واحداً من كل وجه** " [23].

ونأتي إلى النقطة المهمة حول مرجعية البغدادي ومنهجه في رصد المجاعة؛ فنجد أنه تمكن من جمع مادة تاريخية واسعة النطاق، محتوية على جملة لا يستهان بها من النصوص الجيدة التي وصلتنا ممزوجة بذاتية موردها باعتباره عنصراً مشاركاً في صنع أحداثها، أو مشاهداً لها عن قرب لما تمتع به، ويمكن تقسيم المصادر والمظان التي اعتمد عليها البغدادي في جمع مادته العلمية، وجرى التعويل عليها في سبيل إتمام كتاباته التاريخية إلي مصادر شفهية، ومشاهدات عينية استمدها من خلال مشاركته بنفسه في أحداث عصره، أو من أشخاص آخرين كانوا مشاركين في تلك الوقائع عن طريق السماع والمساءلة.

فبالنسبة للمشاهدات العينية والتأريخ لأحداث العصر فهذا يتطلب جهداً جهيداً من المؤرخ لتدوين ما شاهده أو سمع به أو اطلع عليه من الوثائق أو تلقاه بطريقة مباشرة وغير مباشرة من معاصريه ، كما يقتضي منه – كما في حالة الطبيب البغدادي– أن يتجشم عناء التجوال في البلاد ، والسير في الشوارع والدروب، والمشاركة في مواقع الأحداث معتمداً بذلك على ملاحظاته الخاصة في وصف البلاد وخصائصها، وهو ما برع فيه هذا المؤرخ الطبيب، وجعله يقوم بتسجيل تلك الوقائع والآثار والتعقيب عليها بصورة أكثر واقعية وأكثر دقة وأوثق من التواريخ المنقولة؛ لكون دراستها تمت على الطبيعة بالزيارة والمعاينة، دون النظر إلى إشكالية الموضوعية والتفسير ، ويبدو أن البغدادي كان على معرفة بمؤلفات البيروني التي اقتنع من خلالها بأنه " ليس الخبر كالعيان؛ لأن العيان إدراك عين الناظر عين المنظور إليه في زمان وجوده وفي مكان حصوله " [24].

تفصيلاً لذلك نجد أن البغدادي اعتمد على المشاهدة والعيان في الحديث عن مجاعة

العادل الأيوبي، فكان عدد مشاهداته العينية " 17 مرة " مسبوقة بعبارات " **رأيت** " " **فرأينا** " " **وجدنا** " . " **فالذي شاهدناه في مصر والقاهرة** " " **ومن عجيب ما شهدت** " [25].

كما نجد أنه استقى بعض معلوماته عن طريق المشافهة من الوالي أو من بعض الأشخاص الذين شهد لهم بالثقة والأمانة، وكان عدد من نقل عنهم إحدى عشرة مرة" مسبوقة بعبارات " **حكي لي** " " **حكي لنا** " " **حكي لي من أثق به** " " **خبرني بعض أصدقائي** " " **حدثني بذلك غير واحد** " [26].

لجأ البغدادي إلى السماع والمساءلة لاستقاء مادته العلمية؛ إذ إن الأخبار المسموعة واحد من عناصر جمع المادة التي ظلت حتى عصر عبد اللطيف البغدادي من أهم موارد الكتّاب والمؤرخين، بسبب ما امتازت به من الدقة والضبط، فضلاً عن أنها تقليد لكبار العلماء السابقين [27]؛ لذا نجده يعتمد على تلك المرجعية أربع مرات مسبوقة بعبارات " **ومما شاع وسمع من لفظ الوالي** " و " **وسمعنا من الثقاة** " و " **سألتني امرأة** " و " **لم يرد أحد إلا سألته فأجاب** " [28].

كذلك استخدم البغدادي عبارات التعجب في بعض الحوادث التي أوردها إلا أن استخدامه لها كان نادراً كأن يقول مثلاً: " **ومن غريب ما حدث من ذلك أن** " و " **وأعجب من جميع ما ذكر** " و " **ومما يقضي منه العجب** " و " **ومن عجيب ما اتفق** " [29].

اللافت للنظر أننا حينما نقرأ مظاهر المجاعة التي ضربت مصر في سلطنة العادل؛ التي وصفها البغدادي في كتابه فإننا ننكرها هذه الحوادث ولا نصدقها، وكأن البغدادي استشعر تلك الرؤية المستقبلية لقرّاء كتابه فعقب قائلاً: " **ولو أخذنا نقص كل ما نرى ونسمع لوقعنا في التهمة والهزر، وجميع ما حكيناه مما شاهدنا لم نتقصده ولا تتبعنا مظانه وإنما هو شيء صادفناه اتفاقاً بل كثيراً ما كنت أفر من رؤيته لبشاعة منظره** " [30]، ثم يعقب في موضع آخر " **وهذا المقدار من الاقتصاص كاف، فإني وإن كنت قد أسهبت أعتقد أني قد قصرت** " [31].

والحقيقة أن كون عبد اللطيف البغدادي طبيباً فقد ألف رؤية الجثث بغرض تشريحها، لذا جاءت عباراته تصف المجاعة بمنهج علمي تجريبي سليم، ولو تعرض أحد المؤرخين

المهتمين بعلم التاريخ لمجاعة العادل لتغيرت العبارات؛ فالبغدادي في أوج المجاعة لم ينس أنه طبيب، فحينما عثر على رجل وقد أُخلي لحمه من عظمه وصار هيكلاً عظمياً عقب قائلاً: "**مثل هذا أعوز جالينوس مشاهدته ولذلك تطلبه بكل حيلة**" [32].

ختم عبد اللطيف البغدادي كتابه في عام 600هـ بعد أن انتهت المجاعة بعودة منسوب النيل لارتفاعه الطبيعي وعودة الحياة إلى طبيعتها مرة أخرى بالتدريج، بعد أن وصف هذه الجائحة وصفاً علمياً منهجياً معتمداً فيه على الملاحظة والمشاهدة والاستنتاج كما أقر في عنوان مصنفه من ناحية، ومن ناحية أخرى الاعتماد بالدرجة الأولى على شهادة العيان والمشافهات والسماع والمساءلة، فكانت عباراته في مصنفه قوية لاعتياده على ذلك بوصفه طبيباً، عكس ما ورد في كتب المؤرخين الذين استخدموا عبارات عادية لبعدهم عن التعامل مع الجثث والهياكل العظمية.

في الختام مثلما كانت مجاعة المستنصر بالله الفاطمي نذير شر بسقوط الدولة الفاطمية بعد ما يزيد على نصف قرن من نهاية حكمه، كانت مجاعة العادل أيضاً نذير شر بسقوط الدولة الأيوبية بعد ما يقارب نصف قرن أيضاً من نهايتها. !!

الهوامش والمراجع

(1) البيهقي: **تاريخ حكماء الإسلام**، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1998؛ نظيف، مصطفى: **أعلام المهندسين في الإسلام**، القاهرة: مكتبة كليوباترا، 1967م.

(2) تناولت الباحثة وسن إبراهيم حسين المؤرخ الطبيب عبد اللطيف البغدادي في دراسة تاريخية جدّ قيمة، وأوردت المصادر والمراجع التي أفاضت في ترجمة هذا المؤرخ الطبيب وهي: ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق: نزار رضا، ج3، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1965، ص330 – 350؛ ابن نقطة، أبو بكر محمد بن عبد الغني: **التقيد لمعرفة الرواة والسنن والمسانيد**، ج2، حيدرأباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1984، ص157؛ ابن النجار، محب الدين محمد بن محمود: **المستفاد من ذيل تاريخ بغداد**، تحقيق: قيصر ابو فرح دي فل، ج19، بيروت: دار الكتب العلمية، 1971، ص173 – 174؛ ابن الدبيثي، محمد بن سعيد بن محمد: **المختصر المحتاج إليه**، تحقيق: مصطفى جواد، راجعه: ناجي معروف، ج3، بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1977، ص65 – 66؛ القفطي، **إنباه الرواة على أنباء النحاة**، تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم، ج2، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1952، ص193 – 196؛ المنذري، زكي الدين عبد العظيم عبد القوي: **التكملة لوفيات النقلة**، تحقيق: بشار عواد، مجلد 6، القاهرة:

مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1976، ص4 – 5؛ ابن الفوطي، **تلخيص مجمع الأداب في مجمع الالقاب**، مخطوطة محفوظة في مكتبة المجمع العلمي العراقي تحت الرقم 23 حرف الميم ج5، ورقة 865؛ الأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم، **طبقات الشافعية**، تحقيق: عبد الله الجبوري، بغداد: مطبعة الارشاد، 1970، ص274؛ الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ج16، مطبعة الرسالة، 2000، ص226 – 246؛ العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، مخطوطة محفوظة في مكتبة المجمع العلمي العراقي تحت الرقم 290/ 300 ج، طبعت بالتصوير عن مخطوط رقم 3423 ورقم 3424 في أيا صوفيا، اسطنبول: مكتبة السليمانية، تقديم: فؤاد سزكين، فرانكفورت: معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت 1988، السفر التاسع، ورقة 67 – 83؛ الكتبي، محمد بن شاكر: **فوات الوفيات والذيل عليها**، تحقيق: إحسان عباس، مجلد 2، بيروت: دار صادر، 1974، ص385 – 387؛ الفاسي، محمد بن أحمد الحسيني التقي: **ذيل التقيد بمعرفة رواة السنن والمسانيد**، مخطوطة محفوظة في مكتبة المجمع العلمي العراقي تحت الرقم 44 سيرة وتراجم، ج3، ورقة 216 (وهو مطبوع وقد استخدمنا المخطوطة لعدم عثورنا على المطبوع)؛ السيوطي، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ج1، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1967، ص451 ؛ السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج2، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1965، ص106 – 107؛ ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ج5، ص132؛ الزركلي، خير الدين زكريا بن محمد: **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين والمستشرقين**، ج4، ط4، بيروت: دار العلم للملايين، 1979، ص183؛ كحالة، عمر رضا، **معجم المؤلفين**، ج6، بيروت: دار احياء التراث العربي، 1957، ص15 – 16؛ علي، محمد كرد: **كنوز الأجداد**، دمشق: مطبعة الترقي، 1950، ص325 – 331. ومن الجدير بالذكر أن ياقوت الحموي صاحب معجم الأدباء ترجم لعبد اللطيف البغدادي إلا أن هذه الأجزاء فقدت، فنقل ابن الفوطي بعض أقوال ياقوت من ترجمة عبد اللطيف البغدادي، وللمزيد عن هذا العالم الطبيب انظر: الدراسة التفصيلية للباحثة: وسن إبراهيم حسين، عبد اللطيف البغدادي دراسة تاريخية، رسالة ماجستير جامعة بغداد، 2002م.

(3) الكتبي، محمد بن شاكر: **فوات الوفيات والذيل عليها**، تحقيق: إحسان عباس، مجـ2، بيروت: دار صادر، 1974، ص385.

(4) ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق: نزار رضا، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1965، ص683.

(5) اليونيني: **ذيل مرآة الزمان**، مجـ1، ج2، حيدر اباد، 1954، ص180.

(6) البغدادي، عبد اللطيف: **الإفادة والاعتبار**، تحقيق: تيم ماكنتوش–سميث، 1869، ص44 – 48.

(7) الإفادة والاعتبار، ص49.

(8) الإفادة والاعتبار، ص49 وما بعدها.

(9) الإفادة والاعتبار، ص52.

(10) الإفادة والاعتبار، ص51.

(11) الإفادة والاعتبار، ص51.

(12) الإفادة والاعتبار، ص51 وما بعدها.

(13) الإفادة والاعتبار، ص49.

(14) الإفادة والاعتبار، ص49.

(15) الإفادة والاعتبار، ص56.

(16) الإفادة والاعتبار، ص56–53.

(17) الإفادة والاعتبار، ص49 .

(18) حسن، صبري محمد: **الجغرافيون العرب**، ج1، النجف: مطبعة القضاء، 1958، ص92.

(19) مظهر، جلال: **حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي**، القاهرة: مكتبة الخانجي، بلا ت، ص345؛ الدفاع، علي عبد الله: "البغدادي الناقد طبيب الإسلام"، **مجلة الفيصل**، مجلة الفيصل: العدد 68، 1982، ص56.

(20) محمود، محمد الحاج قاسم: "الموجز لما أضافه الأطباء العرب في الطب"، **مجلة الجامعة**، مجلة الجامعة: العدد 10، 1972، السنة 2، ص7.

(21) الطويل، توفيق: "لقطات علمية من تاريخ الطب العربي"، **مجلة عالم الفكر**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: العدد1، 1974، ص 253.

(22) دبدوب، فيصل: "الأصالة في الطب العربي"، **مجلة التراث العلمي العربي**، مركز إحياء التراث العلمي العربي جامعة بغداد: العدد 2، 1978، ص78. ؛ وسن، عبد اللطيف البغدادي، ص202؛ جوستاف، فون جروينباو: **حضارة الإسلام**، نقله الى العربية: عبد العزيز توفيق جاريد وعبد الحميد العبادي، مصر، 1956، ص43؛ منتصر، عبد الحليم: "في تاريخ الطب عند العرب"، **مجلة مجمع اللغة العربية**، ج28، 1971، ص56؛ خير الله، أمين سعد: **الطب العربي**، بيروت، 1946، ص166؛ غربال، شفيق: **الموسوعة العربية الميسرة**، القاهرة، 1965، ص384؛ وسن، عبد اللطيف البغدادي، ص–143 144.

(23) الإفادة والاعتبار، ص61.

(24) البيروني: **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرزولة**، تقديم: علي صفا، بيروت، 1983، ص13؛ ابن شداد: **تاريخ الملك الظاهر**، تحقيق: أحمد حطيط، فيسبادن، 1988، ص314.

(25) الإفادة والاعتبار، ص49 – 55.

(26) الإفادة والاعتبار، ص49 – 55.

(27) عواد بشار، الذهبي ومنهجه، ص386 .

(28) الإفادة والاعتبار، ص49 – 55.

(29) الإفادة والاعتبار، ص49 – 55.

(30) الإفادة والاعتبار، ص52.

(31) الإفادة والاعتبار، ص53.

(32) الإفادة والاعتبار، ص49.